مجلة الموروث مجلد: 07 عدد: 01 .السنة 2026
ص: 95 - 119 ISSN:2710– 8503 EISSN:2992–1538

عوالم الصحراء في أدب إيموهاغ وتجليات حكمته في الأمثال الشعبية السائرة

The Worlds of the Desert in Imuhagh Literature and the Manifestations of Its Wisdom in Folk Proverbs

Pr/AHMED BENANI أ.د.أحمد بناني

فرقة الممارسة اللغوية والأدبية وقضايا المخطوط وتراجم الأعلام بمنطقة تامنغست

مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تامنغست –جامعة تامنغست (الجزائر)

University of Tamanghasset– Algeria

Benani.ahmed@univ–tam.dz

تاريخ الإرسال: 2026/03/13	تاريخ القبول: 2026/05/22	تاريخ النشر: 2026/05/30

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف عوالم الصحراء في أدب إيموهاغ، والكشف عن تجليات الحكمة في الأمثال الشعبية السائرة، وذلك بوصفها خلاصة تجربة إنسانية في البيئة الصحراوية، وتتناول الدراسة تعريفا لأدب إيموهاغ، باعتباره إرثا شفاهيا تشكل عبر قرون من التفاعل من البيئة الصحراوية، فنقل قيم مجتمع إيموهاغ، كما تناولت الدراسة بعض رموز أدب إيموهاغ وهي الملكة تينهنان، التي تمثل أسطورة خالدة في مخيال مجتمع إيموهاغ، وكذا لغة تماهق بوصفها لسان حال أدب إيموهاغ، والوعاء التعبيري له، وكذا اللثام باعتباره رمزا ثقافيا اجتماعيا، وتبرز الدارسة الصحراء جوهر عوالم أدب ايموهاغ، وتركز على الأمثال الشعبية السائرة باعتباره حكمة صحراوية مكثفة تعكس خبرة الانسان في التعامل مع

المرسل أ.د. أحمد بناني benani.ahmed@univ–tam.dz

قساوة البيئة وتقلبات الطبيعة، وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليل للكشف عن الأبعاد اللغوية، والبلاغية والدلالية لهذه الأمثال، وربطها بسياقاتها الاجتماعية والثقافية والتاريخية، لتخلص إلى خاتمة تبرز أدب إيموهاغ وأمثاله الشعبية تعبيرا مكثفا عن فلسفة الحياة، وخبرة متراكمة على مر العصور والأزمان.

الكلمات المفتاحية: عوالم، الصحراء، أدب، إيموهاغ، الأمثال، الشعبية

Abstract :

This study aims to explore the worlds of the desert in Imuhagh literature and to reveal the manifestations of wisdom embodied in folk proverbs, which represent the distilled outcome of human experience in the desert environment. The study begins by presenting an overview of Imuhagh literature as an oral heritage that has developed over centuries through continuous interaction with the desert milieu, thereby transmitting the values and worldview of Imuhagh society. It also examines some of the symbolic elements of Imuhagh literature, including Queen Tin Hinan, who occupies a central place as a lasting legend in the collective imagination of the Imuhagh people; the Tamahaq language, which serves as the linguistic medium and expressive vehicle of Imuhagh literary heritage; and the veil (litham) as a significant socio-cultural symbol within Tuareg society.

The study highlights the desert as the core element shaping the worlds of Imuhagh literature and focuses particularly on circulating folk proverbs as condensed expressions of desert wisdom reflecting human experience in confronting the harshness of the environment and the fluctuations of nature. Methodologically, the research adopts a descriptive-analytical approach in order to uncover the linguistic, rhetorical, and semantic dimensions of these proverbs and to relate them to their social, cultural, and historical contexts. The study concludes that Imuhagh literature and its folk proverbs constitute a condensed expression of a philosophy of life and a repository of accumulated experience shaped across generations
Keywords: Desert Worlds, Imuhagh Literature, Folk Proverbs, Proverbs,

مقدمة

أدب إيموهاغ أدب الصحراء الكبرى، أدب مخضب بخصوصية الصحراء، وبعبق تاريخها، وعاداتها، موشح بخصوصية المجتمع لغته، ثقافته، إنه أدب يعكس حياة إيموهاغ وتعايشهم مع سحرها، وعجائبيتها، إنها الصحراء بكل ثقلها الاجتماعي والثقافي، حيث يتماهى الانسان مع الطبيعة، ويتصارع مع ما تفرضه عليه من تحديات تطال مختلف مجال حياته فيتعلم من شدتها، وينهل من جمالها، ويتعاطى مخيالها، فينساب الأدب الشفاهي ذلالا معبرا عن مكنونات شعب تاريخه ضارب في حقب الأزمان، متجذر في مدارات الحياة متدرج في عوالمها، في هذا المقال يحاول الباحث سبر أغوار عوالم الأدب، واتصالها بخصوصية البيئة، وطبيعتها الجيولوجية، ورسوماتها الخالدة، ونقوشها الزاهية، وخصوصية الموطن، وتنوع العادات وثراء التقاليد، وكذا اللغة الشاهدة على مر العصور، وحرفها الرمز الصامت المتخم بالمعاني والدلالات، إلى اللثام رمز الرجل الأزرق، إلى سحر الملكة تينهنان.

الأمثال الشعبية مكون مهم من مكونات هذا الأدب فهي تختزل التجربة الجماعية، وتراكم الخبرة التاريخية، في طابع بلاغي واستعاري بديع، يسهل التداول ويسهم في حفظ الموروث وتناقله عبر الأجيال، فالأمثال لا تنفصل عن البيئة الصحراوية، كما لا تنعزل عن مفردات الصحراء ومعجمها المخضب بعراقة تاريخها وعمق أصالتها كالقافلة والرحلة والصبر وتقلب الأحوال، وحيواناتها لتصنع فلسفة حياتية تعيد رسم معاني الأشياء، والرموز، والشواهد التاريخية وتعطي فهما ينم عن خصوصية تاريخية فرضتها البيئة الصحراوية، وعالمها الرمزي، وثقافتها الثرية.

هذا المقال يحاول سبر أغوار هذا الأدب باحثا في خصوصيته وعوالمه، وكيف شكلت الصحراء جوهر عوالمه، وكيف تعكس أمثاله عوالم الصحراء وتجارب الانسان فيها، بأبعادها البلاغية والايقاعية والاجتماعية لتكشف فلسفة الحياة في مجتمع إيموهاغ، فما هو أدب إيموهاغ، وما هي خصوصيته؟ وما

خصوصية الأمثال الشعبية فيه؟ وكيف تجسد القيم الاجتماعية والوجودية، وما دلالات تقاطع بعض معانيها مع الأمثال العربية وآي القرآن الكريم؟

البحث في أدب إيموهاغ قليل والدراسات حوله تحتاج الاثراء وبخاصة الأمثال الشعبية عند إيموهاغ، لأنها تمثل مرآة لثقافة إيموهاغ، ومصدرا مهما من مصادر فهم مخيالهم، فكانت هذه مبررات خوض غمار هذه الدراسة، وكذلك الحاجة إلى توثيق هذا الأدب، فهذه الدراسة ستسهم في إثراء الدراسات في الموروث العلمي والثقافي.

الدراسة انتهجت منهجا وصفيا تحليلي، وذلك من خلال رصد مفهوم أدب إيموهاغ، ورصد عوالمه وتشكلها في حيز فضاء الصحراء الفسيح، وكذا جمع بعض الأمثال الشعبية المتداولة في ثقافة إيموهاغ، ثم تحليلها تحليلا لغويا وبلاغيا وإيقاعيا، للكشف عن بنيتها ودلالتها الرمزية، مع محاولة ربطها بسياقها الاجتماعي والبيئي كما استفادت الدراسة من المنهج المقارن من خلال الإشارة إلى بعض تقاطع الأمثال الشعبية عند إيموهاغ مع الأمثال العربية وتناصها مع آي القرآن الكريم.

1–مفهوم أدب إيموهاغ:

إنه أدب شفوي ينتقل من جيل إلى جيل مشافهة، حيث يبثه الكبار في روح الصغار في مجالس السمر في ثوب شعر أو قصص، فيأخذ الأبناء حكمة آبائهم، ويحفظون تراثهم، ويتناقلونه مثلا سائرا بينهم، إنه أدب يصور الحياة بجمالية رائعة، وشاعرية شائقة، تسر الصغير، وتبهج الكبير[1]، إنه أدب يسجل حركات شعب إيموهاغ أينما حل وارتحل، فيقص الآباء مسيرة رحلاتهم، وغرائب قوافلهم، فينشأ الفتيان على عادات وتقاليد يخلدها القول الآسر، وتوشحها الجمالية فيرثون شموخ شعب علم الانسان كيف يواجه الطبيعة، وكيف يتماهى مع صعوبتها فيذللها، ويصنع ملاحم يتناقلها الأبناء وأساطير تشد السامع، وتأخذه في عجائبية تشهد بأن الأدب أسلوب حياة، ومحاولة فهم الوجود، وسعي نحو صناعة المعنى.

إنه أدب الحكاية والشعر، أدب القصص والأساطير، أدب الأمثال الشعبية والحكم السائرة، إنه خرافات تبرر فهم الكون، وأساطير تترجم معنى التناغم مع أسرار الكون، فضمن الحياة الاجتماعية لثوب فني، والقيم والأخلاق بجمالية راقية، والتاريخ والبطولات بأساليب شائقة، بكلمات رقية وترانيم يتناقلها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد.

إنه أدب يصور صراع الجبال في قوالب شاعرية، وتحاور الحيوان والانسان في صور تشد النفس وتأسر القلب لما لها من تأثير بليغ على السامع وعلى الأطفال بخاصة، فينامون على ترانيم القصص والحكايا بإيقاعات الأمهودات، إنه أدب المتعة والحكمة، أدب موشح ببطولة الانسان في مجتمع إيموهاغ هذا الذي يخوض غمار فضاء مليء بالأسرار والأعاجيب، إنه أدب ينقل شفاهة سر الصمود، وسر البقاء، وسر مقارعة الصعاب في حيز عوالمه عجائبية غرائبية زادها الحس والذوق جمالية فائقة.

إنه أدب انسان عاش أكثر من خمسة آلاف سنة، إنسان ظل سيد الصحراء ولا زال، انسان روض الحياة، وخبر كنهها، وأسس حضارته، وأقام ثقافته، وكون مجتمعه، ونظم علاقته بعالمها الساحر، بطبيعتها وتاريخها، بألمها وأملها، بحزنها وفرحها، بتفاؤلها وتشاؤمها، فنقلت تيفيناغ رمزية تلك العوالم وأبعادها المختلفة، ورسخت شفاهية ثقافة صمدت على مر الدهور، ومدى الأزمان.

2-الصحراء جوهر عوالم أدب إيموهاغ

الصحراء في أدب إيموهاغ هي الحاضنة إنه وليدها، فالصحراء وحاتها القاسية ألهمت قريحة إيموهاغ، بل عوارضها الطبيعية الطارئة ألهبت مشاعرهم، فهي عواصف رملية تأسر رمالها الأعين، وسيول جارفة تعلم الانسان مضي الحياة وانبعاثها، حروب تنشب هنا وهناك وغارات مستمرة، وترحال دائم يعلم الانسان السعي ليعيش في بيئة لا ترحم إلا من يقاومها، ويتعايش مع قساوتها فالبحث عن الماء، وطلب الكلأ والعشب، فألهمت هذه الحياة ساكنة الصحراء الكبرى وأورثتهم ذكاء حادا، واستعدادا فطريا لتلقي الإلهام ليتجلى في أشعار، وقصص وأساطير وسوم ونقوش إنها بيئة الجمال والابداع[2]، الصحراء عالم يوشح

هذا الأدب بكل حمولته الثقافية والاجتماعية حيث تغدو الصعوبة ملهمة، والتحدي الذي تفرضه خصوصيتها محفزا للإبداع والتعبير المبدع عن الحياة وتقلباتها، وعن غمار الرحلة فيها، والصراع الذي يعيش الانسان في سبيل تأمين عيشه، وضمان أمنه وسلامة أفراد قبيلته.

إنه أدب يحتفي بالصحراء في أشعاره وقصصه، فيصف الصحراء وصفا دقيقا، ويخلد آثارها، فيحفظ الرجال القصائد الطويلة، فتتعدد ألوان التعبير عن الحياة المعيشة، فيخلد الكرم والإباء، والشجاعة، والحب والحنين، فحين يسكن الليل يجتمعون تحت ضوء القمر ليرووا مآثرهم، ويتحلقون حول بهجة النار يقصون القصص ويلهبون المشاعر بالأساطير ، يرافقهم في ذلك كأس الشاي الشاهد على كل المغامرات وغرائبيتها [3]، فالاحتفاء بالصحراء هذا العالم الثرية طبيعته، والجمالية جيولوجيته، والساحرة رماله، الحامل بين طيات شفاهية أهله قصصا خالدة وأساطير آسرة تفسر الكثير من ظواهر الطبيعة تفسيرا فنيا ابداعيا، ينقل المشاعر بصدق يعكس تماهي ايموهاغ مع عالم الصحراء الرحب وفضائها الفسيح.

إن عالم الصحراء سر وطلسم لا يمتلك ناصية الحديث عنه إلا المتماهي مع فضائه، فهي التراث الزاخر الذي يحتاج إنسانا عايشه فينقله بمعانيه ودلالاته، ويعيد تشكيله في أشعاره وقصصه ويزيده حلة بأساطيره، ليتناقله الأجيال تاريخا حيا شفاهيا يحفظ الثقافة وينقل معها القيم والعادات والتقاليد، فتجيش الدواخل بفيض من التعابير والفنون لتشهد على عمق المعنى ودلالاته في هذا الفضاء، وتؤكد رسوخ الرمز وثراء المخيال الناقل لهذا الثراء المظهره في رسم ونقوش مائزة، وشواهد على الصخور والرمال ثابتة على مر الأزمان وتقلب العصور.

عالم الصحراء هوية ايموهاغ ملجؤهم الدائم، بل حياتهم السائرة ومصيرهم المحتوم في أتون متاهات الألم والأمل الموشح به، بين نوازع الخوف والسكينة إلى صمت الليل المطبق وأصوات حيوانات الصحراء التي تخترقه مؤذنة بجمالية توشح ليل الصحراء، تحت ضوء القمر ورحابته، وسكون الليل ووداعته.

عالم الصحراء عالم القوافل والارتحال حيث اللثام الأزرق، حيث الماعز والخراف، يتبعها الصغار حيث الرمال والمشي بلا ضجيج حيث هبوب رياح الصحراء بلا هوادة، حارة في النهار باردة في الليل، فتتسرب الرمال بين أرجل المشاة وقوائم الجمال، فتتربع الشمس في كبد السماء، في عالم رجال الرمال والرياح والنور والليل، حيث يحمل الانسان شعار الوجود متلفعا بقسوة المكان، وصعوبة البيئة، وصمتها الرهيب، وعظمتها العجيبة[4]، عالم يصارع فيه الانسان من أجل اثبات وجوده فلا سلام يدوم، ولا سكون يستمر، ولا خوف يقيم، ولا حزن، فالحياة في تجدد مستمر يعطي لحياة ايموهاغ معنى الديمومة، ويبث في نفوسهم الأمل المتجدد في حياة محفوفة بعجائبية تزيد العيش فيها حلاوة، وتوشح كلام المتحدث عنها طلاوة، إنها الجمال المقيم، والشاعرية المستديمة.

عالم الصحراء عالم تحرسه جبال شامخة تحتضن تاريخها، شاهدة على ميلاد شعب شارك الصحراء آلامها وأحزانها، ومكنته إرادته الصلبة وحبه للحياة من مواجهة صعبها وتحدي خيلائها، فتمكن من ترويض قسوتها، والسيطرة على جبروتها، فأصبحت أنسه، ومستقره، ولا يرضى عنها بديلا في مقامه في حله وترحاله[5]، فالصحراء ميلاد إنسان إيموهاغ وشح حياته بإحساسها، وتماهى مع إيقاعها، ورسخ على المدى في وجدانه البقاء في تحد مستمر لجموحها، ونضال متواصل لترويضها، فأنست به وأنس بها، فجادت قريحته بأشعار تصفها، وتسجل أحداث حياته بمعالمها، فتتصارع الجبال لتنقل قصة صراع قبائل، وتنتقل جبال من أماكنها في قصص أسطورية تعكس محاولة فهم جيولوجية الأرض بتفسير غرائبي يضفي الجمالية والمتعة في متابعة فهم الانسان للطبيعة وتقلباتها تفسيرا يزيل الخوف ويبث المتعة في قصص يبعد الرهبة، وتبث الرغبة في فهم أسرار الطبيعة وتكونها.

الصحراء عند ايموهاغ تتحدد قيمتها بالأصالة واستمرار البقاء، فإن عدت أرضا قفرة ومجرد منطقة عبور بالنسبة للقادمين إليها بحثا عن المغامرة باعتبارها متحفا مفتوحا يلهم زائريه، فهي حياة وحرية بالنسبة لأولئك الذين ينتسبون إليها، ويتوحدون معها، ويتماهون مع خصوصيتها، فهم يدركون سر قوتها، ويعلمون سحر تأثيرها اللامتناهي على ساكنها، فهي منطقة وجودية لها عبقها الخاص، لها أسرارها

العميقة، ونواميسها العجائبية الغريبة، يدرك إيموهاغ حقيقة الصحراء الملهمة، فيتشبثون بها، فيدفعهم التفافهم حولها، وتواضعهم أمام عظمتها إلى التعايش معها وإيثار المقام بها[6]، فهو أدب تشرب سحر الصحراء، وجماليتها، وتماهى مع خصوصيتها، وتداخلت روحه مع نواميسها، وانضبطت دقات قلبه مع إيقاع عجائبيتها، فباح بتأملات تعيد رسم مخيال مكتنز في اللاوعي الجمعي في مجتمع إيموهاغ، فيتجلى بشاعرية فخمة، وأدبية أنيقة.

ايموهاغ يتعلمون في الصحراء كيف ينصتون إلى الكون، وكون يحاورونه، وكيف ينفذون إلى قلب الأشياء، فخبرتهم بالصحراء جعلتهم يندهشون لسكونها الغريب الذي يلفها، فتأملوا فيها عميق التأمل، يقودهم في ذلك البحث عن فهم الوجود وفهم الكون، فشحذ التأمل هممهم، وألهب حواسهم، ووهبتهم بصيرة حكيمة، وشكيمة في مواجهة تحدياتها، فضخت في ضمائرهم نقاوة ومنحتهم طاقة مشعة، دفعت عنهم الشر وقادتهم إلى السلام الداخلي، والطمأنينة التي أورثتهم الحكمة، فتجلى ذلك في سلوكهم، فكانت أخلاقهم عالية، وتعاملهم نبيلا، والتزامهم بالقول والفعل الجميل تجاه الطبيعة والبشر، فكانت هذه معالم هويتهم الثقافية ومصدر وعيهم الجماعي، فقصت قصصهم ذلك وروته حكاياهم، واحتضنته أشعارهم، وعبرت عنه أساطيره عن الطبيعة،[7]فأدب ايموهاغ أدب ينقل تفاعل الانسان مع الصحراء، وإيجابيته معها، وتعبيره عن أسرها للبه، واعتبارها فضاء فسيحا لفهم الكون بنجومها ومجراتها، فعبر إيموهاغ عن هويتهم بما منحتهم الصحراء من سحر التأمل، وبصيرة فهم الكون ودلائله، فظهر النبل في كلماتهم، والصفاء في قصصهم، والنقاء في أشعارهم، والابداع في أساطيرهم.

أدب توشحه الصحراء بعوالمها الساحرة، حيث ترتبط حياة ايموهاغ في الصحراء بتمسكهم بقانون الأعراف والتقاليد وارتضاء أحكامه، حيث تمثل التقاليد ثمرة تجارب آلاف الأجيال التي عاشت في البيئة نفسها، وفيه تتجلى حكمة تكيف إيموهاغ مع الصحراء، فكان لذاكرتهم الجماعية دور كبير في الحفاظ على كيانهم ذي الثقافة الشفاهية، فانتقلت قيم أسلافهم عبرها، نقية خالصة، عبر مختلف أشكال التعبير، فلا الزمن أطفأ شعلتها، ولا الدهر أوهن قوتها، وتأثيرها على الأجيال المتعاقبة، [8]، إنه أدب

العادات والتقليد، أدب الذاكرة الجماعية حيث الأعراف تعاليم تتناقلها الأجيال محافظا في مسيرتها على كينونة مجتمع، وهوية شعب عبر الأزمان وتقلبها، والعصور وتداولها، إنه أدب يحفظ ثقافة إيموهاغ، فيظهر في قصائدهم، وأسمارهم، حيث الجمع يلتف لسماع المآثر تحت ضوء القمر الآسر، وسحر الكلام ذي الوقع القوي.

3–تينهنان بين التاريخ والرمز

إنها ملكة الترحال حيث اسمها يشير في مخيال إيموهاغ إلى أنها صاحبة المنازل أو الخيم متعددة الخيم، يحمل معنى السفر[9]، إنها تينهنان رمز الخلود في أرض الصحراء، رمز الحل والترحال، حيث الفضاء الرحب أنها أسطورة أسرة شعب إيموهاغ وألهمته تاريخا ناصعا، وجذورا راسخة، فهي في مخياله الكينونة، العزة والشهامة، والمجد والإباء.

تينهنان وقلعتها الرفيعة ذاك المعلم الحضاري العملاق ذي الإحدى عشر غرفة يفضي بعضها إلى بعض، إنها صرح فريد في الهقار، يحدث عن أنباء من سبق، وقدرتهم المعمارية الكبيرة، [10] ملكة إيموهاغ قلعتها المشيدة قصر مشيد، بل تحفة عمرانية فريدة في قلب الصحراء الكبرى، إنها شاهدة على حضارة أبدع فيها الانسان معمارا أذهل الباحثين، وشد أنفاس المتطلعين.

تينهنان استقرت بقلعة تمثل صرحا أثريا رائع البنيان، محكم النسج، بديع التصميم، أكتشف سنة 1926 من طرف بعثة أمريكية فرنسية مختلطة، كانت تقوم بأعمال البحث والتنقيب، عثرت تلك البعثة على معلم حضاري عملاق به إحدى عشر غرفة بعضها يفضي على بعض، إنه صرح فريد بالهقار، يروي خبر من سبق، ونبأ من قبل، ينقل خبرة الأولين، وقدرتهم العمرانية، فعلى خلاف ما درجت عليه عادة قدامى الهقار في دفن أمواتهم في مقابر قوم على كتل حجرية، وتتخذ تلك المقابر مع البناءات التي حولها أشكالا متنوعة وقوالب مختلفة، فمنها المثلث والداري، ومنها ما هو على خلاف ذلك، فكانت متواضعة إلا أن قصر تينهنان شذ على ما عرف فيبدو وكأنه قصبة[11]، فجاء هذا القصر لينقل أثر حضارة عرفت

برقي بنيانها، وبسر تحكم من مروا بفنون يعكسها التصميم البديع، والتخطيط الهندسي المتناغم مع خصوصية الصحراء وبيئتها، وطبيعة هوائها وحرارة تميزها ورمال توشحها وجبال تحيط بها.

الدراسات التاريخية والأثرية والأنثروبولوجية تجمع على أن كل العناصر التي تم العثور عليها في القصر تؤكد بأن ذاك المعلم قصر تينهنان الأم الكبرى للطوارق، وهناك روايات أحاطت بها ذائعة في الأدب التارقي تتحدث عن الملكة تينهنان واستقرارها بأبلسة، أين قضت حياتها، ودفنت وأقيم لها صرح حول قبرها بذلك المكان وهو ما اعترف به الأنثروبولوجي (قاميس) الذي درس الناحية العمرانية بشمال إفريقيا فوجدها شبيهة بهذا القصر فقال بأن هذا الصرح لا يكون إلا للملكة تينهنان، وقد ضم حليا متنوعة، وجواهر نادرة[12]، فعمران القصر ينبئ بأن دلالته مرتبطة بعادات البربر في مآتمهم، وكذلك حرف تيفيناغ الذي يوشح هذا المعلم دلالة على هويته، ليفتخر التوارق بجدتهم، ويجهرون بانتمائهم إليها، ويعتزون بتاريخهم العريق وأبعاده الضاربة في القدم.

4–لغة تماهق إرث لغوي يوشح أدب إيموهاغ

تماهق إلى جانب شقيقاتها تماشق وتماجق أو تمازق تشكل أدب إيموهاغ، إنها لغة حفظت تراث إيموهاغ شفاهة، وسجلته رموزا على الصخور ونقوشا تقرأ عبر الأزمان، إنه جواز سفر الموروث من جيل إلى جيل، إنها دعامة الهوية وصوتها، فهي صمام أمان ثقافة إيموهاغ وناقلة عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم في أشعارهم وقصصهم وأساطيرهم، وشواهدهم الأثرية[13]، لغة تماهق لسان حال هذا الأدب لغة ضاربة في عمق التاريخ، ومفتاح تناقل التراث بين الآباء والأبناء، وجسر التواصل بين الأوائل والمتأخرين، إنها الحرف المنقوش على الصخور، المقاوم لعوامل الطبيعة كما إنسان إيموهاغ، إن تماهق تحمل حروفها معنى الصمود والشموخ أمام أهوال وتحديات عالم الصحراء المدلهمة، إنها الطريق إلى صيانة ميراث شعب استطاعة أن تحفظ ثقافته، عاداته وتقاليده، إنها ليست لغة فقط إنها هوية، تاريخ، سفر عبر الزمن، وكينونة مستمرة عبر الأزمان.

تيفيناغ؛ حرف لغة تماهق الخالد إنها رموز بأشكال هندسية بسيطة مشكلة من نقاط وخطوط، ودوائر وأشكال متنوعة، منها القديم والوسيط والحديث، فالقديم لا زالت رموزه لم تفك بعد فهو سر مغلق، بينما الوسيط منه فيمكن لإيموهاغ وبعض العلماء قراءته، أما الحديث فهو ما يستعمله إيموهاغ حديثا، مع أن قلة قليلة تستطيع فك رموزه، [14]تيفيناغ حرف راسخ القدم في التاريخ رسوخه رسوخ شعب، وهويته، إنه رمز العراقة، والأصالة، رمز الوجود، وشعار الصمود، إنه تاريخ يقرأ ولا زال، هي رمز نظام التواصل الرائق عند إيموهاغ ولسانهم الفائق في التعبير عن خوالجهم، ومبلغ مقاصدهم، والشاهد على عراقتهم.

تيفيناغ حرف لغة جعلت إيموهاغ يمتلكون أبجدية نظيفة نقية، تعود في وجودها إلى آلاف السنين وقد حددها المؤرخون بثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح، وتشهد على ذلك النقوش الصخرية، والكتابات الصامدة في وجه عوامل الطبيعة على الجبال وصخورها الصماء، وكهوفها العجيبة الموشحة برموز تيفيناغ الهندسية المتنوعة، شاهدة على إنسان عمر طويلا وترك إرثا عظيما[15]، إنها اللغة التي استطاعت نقل تراث عريق والمحافظة عليه وكأنه سر من أسرارها شفاهية لكنها، تمكنت من صيانة إرث متنوع بقصصه وأشعاره وأساطيره وأهازيجه، عبر العصور، بل وحفظ عادات وتقاليد الأجداد بمعاني ودلالات عميقة، حيث احتضنه الصخر والرمل، فكان رمز الذاكرة والتاريخ ورمز الهوية.

تيفيناغ حرف يشير إلى أن إيموهاغ من القبائل التي استوطنت منذ تاريخ قديم الصحراء الافريقية الكبرى، حيث لا زالت الدراسات الأنثروبولوجية والأركولوجية تكشف روائع الصحراء لتشهد بأن إيموهاغ أول من أنشأ حضارة على ضفاف بحيرات الصحراء الكبرى، فالدراسات التاريخية والأثرية تكشف ذلك من خلال آثار هذه الحضارة الشاهدة، والشواهد الأثرية الشامخة، فقد أجمع الباحثون على أن النقوش الصخرية المترامية على مدى صخور الصحراء الكبرى متطورة مقارنة مع مثيلاتها المصرية القديمة، مما يشير إلى أن منطلق الحضارة وميلادها كان بأعالي الهقار والطاسيلي، ففي الألف العاشرة قبل الميلاد عرفت هذه المناطق بغناها وخصبها[16]، فهي مرتفعات شاهدة على ميلاد الإنسان الأول بها، إنها رمز الحضارة العريقة،

حيث عرفت بشواطئها وبحيراتها، والدليل على ذلك أشكال صخورها، وهيأة جبالها وكهوفها، فهي دلالات على بحار عمرت أزمنة مدينة تشكلت حولها حضارة راقية، ظلت هذه الشواهد شاهدة على قيامها، ورسوخها.

إن مناطق الصحراء الكبرى ومرتفعاتها بالهقار والتاسيلي من أقدم المواطن التي شهدت مولد الانسان الأول لكن بفعل عوامل الطبيعة التي أصابتها في مقتلها، حيث حل الجفاف فغارت بحيراتها، وجفت أوديتها المتدفقة، فضاق المقام بساكنيها، واشتدت قسوة العيش بها، فساد القحط وفر الرهط، فهجرها ساكنوها، [17]، الهقار والتاسيلي التي وشحت أدب إيموهاغ كانت مناطق الخصب والرعي والحضارة لكن بفعل قساوة الطبيعة أصبحت عامل طرد لساكنيها فانتشروا في أرجاء المعمورة لتبقى آثارهم شاهدة على حضارة عمرت طويلا، وأقامت صروحا عظيمة.

تيفيناغ شاهدة على حضارة دلت عليها الآثار والنقوش فالآثار القديمة والوثائق التاريخية والشواهد الأثرية تؤكد على أن هذه المنطقة سادتها حضارة دلت عليها الرسوم والصور، فالرسوم الصخرية المنتشرة على جبال الهقار والتاسيلي عرفت عديد محاولات تفسيرها، تفسيرا تاريخيا وأدبيا وحضاريا، فكانت بحق شاهدا فنيا وجماليا وعلميا على القيمة الحضارية لهذه الرموز والصور والرسوم[18]، تيفيناغ بنقوشها ورموزها شاهد تاريخي على عظم حضارة إيموهاغ، وبخاصة أن تأويلاتها أخذت أبعاد كبيرة فمنها الاجتماعية والابداعية، ومنها الأدبية الفنية، ومنها العلمية البحتة.

والسر الحضاري الكبير في تلك الرموز أنها ألهمت هذا الأدب الشفهي، حيث استخدمت فيها آلات دقيقة، فهي تصور الحياة اليومية، التي يعيشها ساكنة الصحراء الكبرى، برسومات رائعة محكمة النسج، بديعة التخطيط، محلاة بألوان زاهية تم تركيبها من مواد كيماوية، ويعدو تاريخ تلك النقوش إلى تسعمائة سنة قبل الميلاد، وعلى مدار تلك الأزمن الغابرة ظلت صامدة صمود حضارة إيموهاغ، محافظة على ألوانها، ولم تتأثر بعوامل الطبيعة، وكان من نحتها متخصص مبدع بارع، متقن لفن النحت، دقيق

ومبدع[19]، فالرسوم والنقوش شاهدة وملهمة إنها حكاية حضارة عبرت الأزمات، وحكاية شعب عرك الحياة عبر العصور، إنها رموز تعكس ما وصل إليه ساكنها من براعة في النسخ، وتحكم في الرسم، ودقة في التخطيط، ورهافة ذوق في انتقاء اللون، إنها معالم حضارة خالدة، وشواهد زمن بلغت فيه أشدها، وعلمت العالم من تجاربها، فتركت رموز تعددت دلالاتها، وتجددت معانيها، فهي المعاني المخبوءة، والدلالات العميقة.

5– اللثام رمز أدب إيموهاغ

اللثام وشاح أدب إيموهاغ، ورمز الرجل الأزرق، فهو يشير بكل ما فيه من طقوس واحتفالات ورمزية إلى أمجاد إيموهاغ، وتاريخهم الذي يفخرون به، وماضيهم الذي يعتزون به، فمن الباحثين من فسر رمزيته على أنها مرتبطة بالغزاة حيث اعتبر وسيلة لإخفاء وجوههم، حتى لا يعرفوا، وهناك من ربطه بالبعد الطبي فذهب إلى أنه تدبير صحي لحماية الوجه من وهج الشمس، ومن حبات رياح الرمال وزوابعها،لكن استقر تقليدا اجتماعيا محاطا بقيم ورموز اجتماعية، فهذا القناع المطلي بالنيلة هو النمط الحضاري الذي يميز إيموهاغ عن غيرهم، [20] ، فقد ألهم اللثام أدباء ايموهاغ في حكمهم وأمثالهم وقصصهم وأشعارهم للتغني بالشهامة، والاقدام، والقيم النبيلة، فقد حف اللثام في مجتمع أيموهاغ بأساطير عديدة لكنه سيج في الأخير بقيم النبل، وعزة التاريخ وشرفه، وفخامة الاسم ورمزيته.

إن اللثام يشير بكل ما فيه من طقوس واحتفالات ورموز إلى أمجاد الطوارق، وتاريخهم، الذي يعتزون به ويفتخرون بمآثره، فهو وسيلة يستخدمها الغزاة لإخفاء وجوههم، كما أنه تدبير صحي يحمي الوجه من وهج الشمس، ولفح حرها، ومن الرمال، وعواصف صحرائها، ليغدو اللثام تقليدا اجتماعيا محاطا بقيم اجتماعية راسخة في مجتمع إيموهاغ، فهو نمط أضحى يميز إيموهاغ عن غيرهم[21]، فاللثام ارتبط بطقوس خاصة في مجتمع إيموهاغ إلى الحد الذي تقام فيه مراسيم لمن يوشح باللثام عند رشده، فهو حلة تميز الرجل في هذا المجتمع فلا يكاد يفارق الرجل لثامه لا في حله ولا ترحاله، لا في صولته ولا جولته، في

كل لحظاته يعانق هيبة اللثام، لتزيده مهابة، وفي كل حين تراه يحيطه بقداسة تجعل امتهان اللثام امتهانا له، فارتبطت كينونته به، ووجوده بزيه، وإقدامه وشجاعته بالتماهي مع شموخه وعليائه إيذانا بأن عالم الصحراء لن يخوض غماره إلا من يحاكي متاهات أسراره، ويقابله بغموض أشد غموضا من سحر فضاءاته، وسراديب عوالمه، وغياهب واحاته.

6–الأمثال في أدب إيموهاغ دراسة بنيوية ودلالية في تمثلات الصحراء :

إن المثل في أدب إيموهاغ الشفهي هو حكمته المكثفة، حيث الإيجاز وإيقاعه، والصورة الصحراوية الموحية والتي تجمع تحت ظلالها معاني ودلالات عميقة، وكذلك الرمز حيث يحضر الحيوان في تناول مهيب توشحه أبعاد المثل فيزيدها عمقا، وحمولته الأخلاقية حيث يتناقل الأجداد القيم الاجتماعية والأخلاق الجمعية بينهم وبين أبنائهم جيلا إلى جيل فتصان قيم المجتمع، ويحتمي الكل بلا وعي جمعي بإرثه الثقافي والعقدي والقيمي، فالمثل في أدب إيموهاغ خلاصة تجربة عركتها السنين، وصقلتها الأزمان، إنها تعابير تعكس تكيف الانسان مع عالم الصحراء الفسيح، ومتاهاته الحاضرة، وغرائبيتها المتجددة، فتجلت قيم الشجاعة، ووحلل الاقدام، وشعار الصبر، والحذر المستمر في عبارات موجزة بمعاني بعيدة خلدها اللاوعي الجمعي.

الصحراء أثبتت بأن تأثيرها وتأثير خصوصيتها عميق في الأنفس، وكأنها تحمل روحانية معينة تنبض بها معالمها وشواهدها، ففيها تتحطم حدود الوعي، وفيها تتشكل مخيلة الانسان تشكلا يليق بفساحة فضائها، وسحر طبيعتها، فهي مليئة رمالا تمنح الروح عافية، ومليئة جبالا تمنح الروح شموخا ومهابة، فهي فردوس الروح ومنفاها الجميل، إنها مكان اكتشاف الذات[22]، فجاءت الأمثال لتتماهى مع سحر هذا الفضاء لتنقل الحكمة عبر الأزمان وتعلم الانسان، من معترك الحياة مع غرائبها، وجمالية عجائبها، فجاءت أمثال أدب إيموهاغ على إيقاع الصحراء رمزية، شاهدة على الفساحة وامتداد المدى بامتداد معانيها، ورحابة ألفاظها، وعمق دلالاتها.

فضاء الصحراء ألهم الحكمة المكنونة في ساكنيها فجاشت قرائحهم بكلمات ملأت الدنى معاني وتجارب، لأن الصحراء تقدم لساكنها رؤى ومعجزات، وحالات إلهام، فطبيعتها فرصة للانتقال والعزلة والاستبطان، إنها فضاء الصمت الحقيقي حيث يمنح النفس فرصة اكتشاف الذات، ويمنح الروح فرصة العودة إلى كينونتها الأولى، فيصبح الانسان أكثر صمتا من الصمت حوله، ليسمح الصمت يتكلم فيسيخ إليه، حيث الجبال الشاهدة على بعد معدني في جبال راسية، رؤوسها شامخة، في فضاء منار بنجوم مثل ألسنة اللهب، فتختفي الذكرى ويبقى التنفس وايقاع نبضات القلب فتستعيد الذات وجودها، وتدرك جوهرها إنها الصحراء فضاء الوعي المتجدد بالذات[23]، فضاء ألهم ساكنيها، الحكمة، وأصاب زائريها بالدهشة فشموخ الجبال علمهم شموخ ساكنيها، ورمالها علمتهم رهافة حسهم، وسكونها علمهم الحكمة في الصمت الذي يخيم على الأرجاء، والمعاني التي تبوح بها نجوم الأفلاك، وضوء القمر، فأدركوا بوح الصمت، وأساخوا إلى معانيه ودلالاته.

إن المثل الشعبي أسرع جريانا على الأسنة لاتصافه بالإيجاز والنغم والايقاع الذي يسهل حفظه، ويدفع إلى تناقله، فهو يساق تلقائيا دون سابق انذار ليطفو على السطح كلما استدعى السياق ذلك، ويستحضر كلما تهيأ الظرف له، فيأتي فصيحا، موجزا بمعاني مكثفة، تنقل تجارب وتشير إلى دلالات عميقة، يتعلم منها سامعها، وتطرب لها أذنه، وتجيش بها مشاعره.[24]

7-نخبة من أمثال أدب إيموهاغ وحكمته المكثفة:

سنتقي أمثالا شفهية تعبر عن حكمة الصحراء المكثفة، وثقل المعاني التي تحملها، وبراعة التعبير، وحسن انتقاء الكلمات، وحسن الإيجاز، ورمزية الصور، لنكتشف خلاصة تجارب باح بها سكون فضاء الصحراء، وسحره، جهر به أنس الانسان بالصحراء وجمالها، ونطقت به معالمها وشواهدها.

7-1-آمان إيمان

آمان إيمان[25] يشير إلى أن الماء هو الحياة، إنه مبني على تركيب اسمي خبري، ذو بعد بلاغي حيث حذفت منه أداة التشبيه وكأنهم أرادوا القول آمان هو أيمان لكن الحذف عمق الدلالة والإيجاز أوحى بكثافتها، وهي سمة من سمات الأمثال في أدب إيموهاغ، فالماء ليس سببا للحياة فقط في الصحراء بل هو الحياة نفسها، بلاغة في التشبيه، وعمق في التعبير، بل إن التماثل في الأصوات والتقارب في مخارجها وصفاتها أكسب المثل إيقاعا تطرب له الأذن ويأنس به السامع، وهو ما سهل حفظه، ويسر تداوله، وسرع تلقيه، وساعد في انتشاره، فالماء في الصحراء الكبرى شرط البقاء، ومحور الرحلة، ومبدأ الاستقرار، فالماء جوهر فضاء الصحراء الفسيح حيث الانسان يكون به، والقابلة تسير به، والحيوان يعيش به، إنه رمز الطمأنينة، رمز النجاة إذا تاه الانسان في الصحراء، ورمز الأمن والراحة والاستقرار إذا عثرت القبيلة على موارده، إنه رمز الاجتماع، ونقطة التبادل، بل ومكان رواية الأمثال وتناقلها وسماع القصص والحكايا والتماهي مع معانيها، وبه نوع من التناص مع الآية القرآنية ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾،[26] حيث تتداخل المعاني وتتناقل وتشير إلى كونية الأمثال الشعبية عند إيموهاغ.

7-2-تظيديرت نلل توقد أد تغرست آنيت

تظيديرت نلل توقد أد تغرست آنيت[27] يشير إلى أن صبر الانسان الحر يساوي كامل عمره ، صورة استعارية أخرى يؤكد البناء البلاغي للمثل في أدب إيموهاغ، حيث يشير إلى ارتباط الصبر بالحياة، فالصبر هو الحياة في الصحراء وفائها، يرتكز على أصوات ايقاعية متوازنة، وهو ما يسهل حفظه وتناقله، بل ويؤكد ارتباطه بخصوصية الصحراء حيث التحمل ورمزيته في مخيال إيموهاغ، وكذلك الحرية الفردية حيث يضاف الصبر إلى الماء ليصبح الصبر شرط البقاء، في فضاء قاس يقوم على الرحلة والارتحال، ليصبح الصبر ثروة تعادل عمر الانسان، فالصبر قيمة كونية أعطت للمثل بعده الكوني، وأكدت ارتباط المثل بتجربة الانسان مع البيئة، وهناك إشارات إلى هذا المعنى في المثل الصبر مفتاح الفرج، وكذلك تناصه مع آي القرآن التي تبشر الصابرين حيث يقول تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ

الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [28] ، وهي معان خالدة تؤكد على قيمة الصبر وارتباطه مع قيمة الوجود.

7–3–أواترهيد أترت أوا ورترهيد سوترت

أواترهيد أترت أوا ورترهيد سوترت[29] يشير إلى أن ما تريده أطلبه وما لا يهمك ابعث له، مثل ثنائي الجملة شفوي إيقاعي، يعطي توازنا في المعنى والصوت، حيث يرد التكرار الصوتي كمقوم للمعنى والدلالة، وهو ما يسهل الحفظ ويشد السمع، وكأنها خلاصة تجربة الحياة حيث التمييز بين المهم والأهم، بل وفقه الأولويات في معان مخبوءة تشير إلى قيمة الشيء الذي نطلبه بأنفسنا، وتقليلنا من قيمته حال ارسالنا للغير للبحث عنه، وهي إشارة إلى ثقافة الاستقلالية واتخاذ القرار الشخصي عند إيموهاغ، فالانسان الحكيم يعرف ما يطلبه بنفسه وما يرسل في طلبه، وتأكيد على الاختيار الواعي في الحياة، بل وأهمية السعي بأنفسنا في طلب ما نريد، وكأنها إشارة إلى المسؤولية الذاتية والاعتماد على النفس لأنها أساس النجاة في عالم الصحراء، وهي عين الصواب، فالتوجه الشخصي نحو الأمور الأساسية وترك الأمور الثانوية للآخرين، فهي استعارة مكثفة تشير إلى الاعتماد على النفس والحكمة العملية في ذلك أن لا يفوض الانسان ما يخص حياته للغير خصوصا في بيئة تحتاج الحذر واليقظة، والإيقاع الذي يحمله التكرار الصوتي المتوازن، يبوح بفضيلة الاعتماد على الذات، حيث قساوة البيئة، بل المبادرة الشخصية تنم على حب البقاء وضمان النجاة، بل وتؤكد على إنزال الأمور منازلها، وحفظ شأنها، وإيلائها أهميتها، وكأنه يتناص مع المثل العربي ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت كل أمرك وذلك في بعض معانيه حيث يشير هذا المثل إلى المسؤولية الذاتية والاعتماد على النفس في قضاء المصالح الشخصية، فالمهم يستحق أن نبذل جهدا من أجله، فالصحراء يفرض عالمها على الانسان أن يعمل بنفسه ولا ينتظر الآخرين، فالصبر والعمل هما طريق النجاة في عالم الصحراء، والسعي الشخصي على ما يهم ضمان للحياة وتحقيق لمطالبها، فما يريده الانسان يسعى بنفسه إليه فذاك هو الضامن لتحقيقه.فاهتم لأمرك وشأنك، واترك الناس يهتمون بشؤونهم.

7-4-ايريورن ايرها أهوقال وريتبلنبو لوتيت

ايريورن ايرها أهوقال وريتبلنبو لوتيت[30] تشير إلى أن الانسان الذي لا يحب الغبار عليه ألا يتمرغ، فهو معنى استعاري حيث يرمز الغبار فيه على العمل والمخاطرة الازمة للحصول على المكاسب، بل على الجهد وتكلفة الإنجاز، وهو تركيب شرطي ضمني، يحمل وقعا يسهل حفظه، وتناقله، فهو تحذير على الدعة والكسل في طلب المكاسب النبيلة، فلا عمل ولا نجاح بلا كد ومثابرة، وهو أيضا إشارة إلى تقديس العمل في حياة إيموهاغ حيث البيئة قاسية، والظروف تفرض الحركة الدائمة، والسعي المستمر، فلا مكان للتراخي، ولا مكان للفراغ فمن طلب العلا سهر الليالي على ميزان هذا المثل العربي جاء مثل إيموهاغ، ومن سار على الدرب وصل، إنها أمثال تفيض بالحكمة المكثفة وهو ما يجعل أمثال إيموهاغ كونية لأنها خبرة فضاء عجائبي ولد بهيبته حكمة خالدة.

7-5-ايريورن ايلا هرت ورينطس

ايريورن ايلا هرت ورينطس[31] يشير إلى أن الشخص الذي لا يملك شيئا عليه ألا ينام، وهو مثل يحث على العمل، إنه تركيب شرطي كلماته قصيرة منسجمة، متسقة صوتيا، وهو ما يمنحه إيقاعا ييسر حفظه وتناقله وترداده، فهو مثل استعاري يحث على الاعتماد على النفس والمبادرة اليومية، حيث لا يجب أن يرى الانسان عند إيموهاغ فارغا بلا عمل بلا سعي وكد، فقيمة العمل مقدسة عندهم، فالعمل أساس البقاء في فضاء موحش تقوم الحياة فيه على المثابرة الدائمة، فالماء وجلبه، والطعام وإيجاده، والسلام وضمانه، والراحة وتحقيقها لا ضمان لها إلا الكد والعمل، وهو مثل يتناص على آي القرآن ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾ [32] حيث الجهد الشخصي أساس المكاسب ، فلا يحق للإنسان انتظار كسب لم يسع إليه، ولن يحصل على ثواب لم يبذل جهدا نحوه، فالمسؤولية وأخذ النفس بالعزم والحزم أساس تحقيق المطالب.ففي فضاء الصحراء الفسيح لا مكان للتواكل، لا مكان يسع المتكاسل، ولا بقاء يلسمه، ولا نجاح يرمقه.

7-6-ما ييلمد وريسستن ما يالس وريهمي ما ديتكس ورتهري

ما ييلمد وريسستن ما يالس وريهمي ما ديتكس ورتهري[33] يشير إلى أن الانسان ما عساه يتعلم إن لم يسأل، وما عساه سيلبس إن لم يخط، وما عساه سيقدم إن لم يدخر، قمة الحكمة التي تفيض بها عالم الصحراء وخبرته، هذا التركيب الشرطي الذي يميز الأمثال في أدب إيموهاغ بكلماته القصيرة، وتكرار إيقاع الأصوات، على وزن يحدث وقعا في أذن السامع فيشده قبل أن تشده المعاني العميقة، هذه الحكمة المكثفة الاستعارية تحث على السؤال للتعلم، تحث على البذل تحث على الادخار إلى نوائب الأيام، إنها ثقافة إيموهاغ بالمعتمدة على النفس في خوض غمار الحياة، فكل فعل منها مرتبط بالبقاء واستمرار الحياة، فلا ينتظر الانسان في الصحراء أن يلبس ما لم يخط، أو أن يتعلم ما لم يسأل عنه، أو أن يجد عند تقلب الزمان ما لم يدخر، وهي تتناص مع بعض الأمثال العربية التي تحث على الجد والعمل فمن جد وجد، ومن زرع حصد، وطلب العلم من المهد إلى الحد، فضاء الصحراء فضاء سؤال الوجود، سؤال الكينونة، سؤال العلم الذي تبوح به شواهد التاريخ الصامتة ، ورموزه ذات الدلالات العميقة، بحر من المعاني يفيض بها هذا التركيب المكثف من المعاني بإيقاعه الفريد.

7-7-توسد تمرولت شتاغ إبدي

توسد تمرولت شتاغ إبدي[34] يشير إلى أن الأرنب جاءت تطارد الكلب وهي إشارة إلى انقلاب الحال من حال إلى حال ، رمزية الحيوان تعود لتتجلى متماهية مع خصوصية الصحراء الأرنب رمز الضعف، والكلب رمز القوة ، في فضاء الصحراء هذا المركب الصوتي الاستعاري يوحي بأن حاله لا يستقر على حال، فلا يلبث الضعيف أن يصبح قويا، ولا يلبث القوي أن يصبح ضعيفا، فدوام الحال من المحال، وهكذا هي تقلبات الدهر يوم لك ويوم عليك يوم تساء ويوم تسر تناص عميق مع الأمثال العربية فرضته البيئة وقساوتها، وحيزها وتقلباته، فهذا التركيب الاستعاري المبني على تكرار الأصوات كالتاء والميم والراء، يكثف الدلالة، ويؤكد على الحذر والانتباه وعدم الاغترار بأمان الزمان، وسلامه الواهم في الصحراء

فالتحولات لا مفر منها، ففي الحياة يتعاقب الليل والنهار، والشمس والقمر، فالتحولات قد تفاجئ الانسان، والتقلبات قد تفجعه، إنه عالم الصحراء يعلم الحذر، يعلم الحيطة، يعلم الصبر على أدواء الزمان، ودوران حاله.

7-8- وايجرن تايلالت تجادت آس تيتدارت

وايجرن تايلالت تجادت آس تيتدارت[35] يشير إلى أن الانسان إذا رمى حجلة في السماء طائرة بأخرى حية في يده سيخسر الاثنان، هذا التركيب الاستعاري ذو الجمل القصيرة، وتكرار الأصوات الساكنة، يولد إيقاعا يسهل الحفظ، إنه يحذر من تعدد الأهداف دون تركيز، إنه مثل يستحضر رمزية الحيوان للدلالة على معاني عميقة خبرتها تجربة فضاء الصحراء، فالانسان لا يطمح في الصحراء إلى أكثر مما يمكنه السيطرة عليه، وإلا سيخسر كل شيء، إنه تحذر من الطمع وعدم القناعة، وتنبه إلى ضرورة تقدير الموارد التي بين أيدينا وشكر النعم التي نحيا بها، ففي الصحراء لا مجال للمغامرة المفرطة، ولا مكان للطمع الفائق الحدود، إنه درس من دروس البقاء ، ففي الصحراء يتعلم الانسان ألا ينجر وراء السراب ويترك الموجود بين يديه، وألا يغتر بالوهم ويفرط في المتاح، وما هو في المتناول، فعصفور في اليد كما قيل خير من عشرة فوق الشجرة، فالعمل على اليقين مقدم على اتباع الشك .

7-9- ورتقيلد أجكمبا تنكسند ولا توروت تمكشد

ورتقيلد أجكمبا تنكسند ولا توروت تمكشد[36] يشير إلى أن الانسان عليه ألا يكون فلفلا فيكره ولا عسلا فيؤكل، هذا المثل جملة شرطية مزدوجة، متوازية الجزأين، تعتمد على تكرار الأصوات وإيقاع الكلمات، وهو ما يمنحها سهولة في الحفظ، ويسرا في النقل، إنه مثل يحث على التوازن فلا يكون الانسان قاس فيكسر ولا لينا فيعصر، فالاعتدال في السلوك مطلوب، فلا يكون الانسان حادا فيهجر، ولا يكن هينا فيحتقر، إنها خبرة الحياة في الصحراء حيث التوازن مطلوب لمواجهة تحديات البيئة، وصعوبات الطبيعة، فاللين يجلب المحبة، والقسوة تجلب البغض، فالذكاء الاجتماعي مطلوب وحسن

التعامل فضيلة، وهي أساس البقاء ودوام الاجتماع والاخوة والاتحاد، ففضاء الصحراء فضاء يتطلب الحكمة والذكاء في التعامل مع الآخرين، إنه فضاء يتطلب الانضباط والحذر، الحزم والعزم،

7–10–أشل هيد ديوراهيد هارداس وورهيد

أشل هيد ديوراهيد هارداس وورهيد[37] يشير إلى أنه يوم لك ويوم عليه إلى أن تحين المنية، هذا التركيب الاستعاري يشير إلى أن فضاء الصحراء فضاء له فلسفته الخاصة، كل ما فيه يفيض حكمة، عنوانه الصبر والتوازن النفسي في جيز الصحراء، فالإيقاع الصوتي الذي بني عليه هذا المثل، يعكس تداول الأحوال وتعاقبها، وعدم ثباتها على حال معينة، فلا دوام للخير ولا مقام للشر، ولا دوام للسعادة، ففضاء الصحراء يعلم الانسان لا يغتر بدوام أي حال فلا مقام له، وهو مثل يتناص مع الآية الكريمة : **﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾**[38] ، فالدهر يومان يوم لك ويوم عليك، فهذا المثل في أدب ايموهاغ يدل على حكمة مكثفة جعل منه إنسانيا كونيا، فالمجتمع في الصحراء قائم على التقلب وهو ما يتطلب التوازن وإدراك حقيقة الوجود فأيام تحل تحمل معها السعادة والغلبة والنصر والأمل ، وأخرى تأتي محملة بالمخاطر واليأس والحزن، والألم، وهذا ديدن الحياة في الصحراء لمن خبرها، فلا يأس لحظة الألم، ولا اغترار لحظة الأمل، فالمطر في الصحراء يأتي بعد قحط وجفاف ظن الكل أنه مقيم، ليأتي الغيث فتدب الحياة من جديد، ويعود الأمل لينبعث ويتجدد العهد مع الحياة، فلا أمن يدوم ولا اغترار بهن ولا سلام يستمر ولا استكانة له، فدوران الحياة يقتضي التقلب الحاد من حال إلى حال، وذاك ما يمنح إيموهاغ قوة التكيف مع كل الظروف، وقوة الصبر على أعتى الأهوال، وعدم الاستكانة للسعادة والراحة، والأمان فلا أمان دائم في مجتمع إيموهاغ، ولا جور دائم، ولا ظلم مقيم، فلا يأس مع العمل، وما بعد الليل إلا انبلاج خيوط الفجر الحاملة للفرج، فالزمن في الصحراء ليس خطا مستقيما، بل حركة تداول مستمرة بين القوة والضعف، الضيق والفرج، الألم والأمل، الحزن والسعادة، إلى أنت تنتهي رحلة الانسان بالموت لينتقل إلى حياة برزخية أخرى.

خاتمة:

ختامًا، يكشف هذا البحث أن عوالم الصحراء في أدب إيموهاغ ليست مجرد فضاء جغرافي جامد، بل هي منظومة رمزية وثقافية متكاملة تشكّل الوعي الجمعي، وتعيد إنتاج رؤية الإنسان للحياة والوجود والقيم. وقد أبرزت الأمثال الشعبية، بما تختزنه من كثافة لغوية وعمق دلالي، كيف استطاع إيموهاغ أن يحوّلوا قسوة الصحراء وتقلباتها إلى حكمة إنسانية خالدة، صيغت في عبارات موجزة، لكنها مشحونة بالمعنى والتجربة والخيال.

كما أظهرت الدراسة أن المثل الشعبي عند إيموهاغ لا يؤدي وظيفة تواصلية فحسب، بل ينهض بوظائف ثقافية وجمالية ومعرفية، إذ يكشف عن البنية القيمية للمجتمع، ويعكس أنماط التفكير والتصورات المرتبطة بالإنسان والطبيعة والزمن والمصير. ومن خلال ما يحمله من صور بلاغية واستعارات وإيقاع لغوي، يتجلّى المثل بوصفه مرآةً للمخيال الصحراوي، وسجلًا حيًا لذاكرة جماعية تشكلت عبر الترحال والمعاناة والتأمل الطويل في الحياة.

وقد قادتنا هذه النتائج إلى تأكيد أن خصوصية أدب إيموهاغ تنبع من قدرته على الجمع بين المحلي والكوني؛ فهو أدب شديد الارتباط ببيئته الصحراوية الغريبة والعجائبية، وفي الوقت نفسه منفتح على القيم الإنسانية المشتركة، وهو ما تبرزه التقاطعات الدلالية بين بعض أمثاله والأمثال العربية، فضلًا عن التناصات التي تستحضر البعد القرآني والروحي في تشكيل الحكمة والمعنى.

وعليه، فإن أدب إيموهاغ يظل كتابًا مفتوحًا على أسئلة اللغة والهوية والذاكرة والمخيال، الأمر الذي يجعل من دراسته ضرورة علمية وثقافية وحضارية، تستدعي تكثيف جهود الجمع والتوثيق والتحليل، والانفتاح على المقاربات اللسانية والأنثروبولوجية والسيميائية الحديثة، بما يسهم في حفظ هذا التراث الصحراوي الثري، وإبراز قيمته في الثقافة الإنسانية العالمية.

[1] – ينظر، سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات شؤون الصحراء، ط2، 1989، ص125

[2] -ينظر، حفناوي بعلي، طبقات الأدب النوميدي الافريقي، – خمسة آلاف عام من الثقافة في الشمال الافريقي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص 248،

[3] -البرتو باثكث، طوارق، ترجمة عبدو زغبور، ورد للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2004،ص 6-7

[4] -جان ماري غوستاف لوكليزيو، صحراء، ترجمة لينا بدر، دار ممدوح عدوان، الشارقة، ط1، 2024،ص 7-9

[5] -محمد قمامة، كيل أهقار، قصة سقوط آخر مملكة للبربر، دار هومة، الجزائر، ط2009، ص 11

[6] -ينظر، حفناوي بعلي، طبقات الأدب النوميدي الافريقي، ص 175-176

[7] -البرتو باثكث فيكيروا، عيون الطوارق، ترجمة عبدو زغبور، دار ورد، دمشق، سوريا، 2006، ص 68

8 -ينظر، حفناوي بعلي، طبقات الأدب النوميدي الافريقي، ص 277

[9] -محمد اقمامة، المرجع في تاريخ سكان الهقار، دار أدليس بلزمة للنشر والتوزيع، ط1، 2023، ص10-11

[10] -عبد السلام بوشوارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار روبية، الجزائر، ص 23

11 -ريغاس ، الصروح المأتمية القديمة بإفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام بوشارب، الجزائر، 1996، ص 42-45،

12 -نفسه ص 50-80

[13] – ينظر، عمر عبد الفتاح ، اللغة والهوية الثقافية لإفريقيا، مجلة آفاق إفريقية، مجلد 3، ع 11، القاهرة، 2002، ص 72-77

[14] – ينظرمبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب، بيروت، ج1، ص 116-119وينظر، قايد مولود ، البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي، دار النشر ميموني هشام، الجزائر، 2007، ص 250-251

[15] -ينظر، سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، ص 30

16 -هنري لوت ، لوحات التاسيلي، قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1967، ص 38-39

17 -ج,هـ، برستد، فجر الضمير، ترجمة سليم حسين، مكتبة دار مصر للطباعة، سلسلة ألف كتاب، العدد 108، 1956، ص 27-28

18 -محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، 246-247

19 -فابريتشيو موري، تدرارت تاكوكاس، الفن الصخري وثقافة الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، ليبيا، 1988،ص 178-179

[20] -إبراهيم العيد لشي، تاسيلي الحياة الفكرية والاجتماعية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا، منشورات دار الحبر، الجزائر، 2009، ص 68-69

[21] -حفناوي بعلي، طبقات الأدب النوميدي الافريقي -خمسة آلاف عام من الثقافة في الشمال الافريقي، ص 47-48

[22] –مايكل ويلاند، الصحراء، ترجمة مروان سعد الدين، جروس برس ناشرون، طرابلس لبنان، ط1، 2016، ص 212–213

[23] –المرجع نفسه، ص 219–220

[24] –بوردوز عبد الناصر، الأمثال الشعبية في منطقة قوراية تيبازة، –دراسة ميدانية، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ،الجزائر، 2009، ص 50

25 –الأدب الشفهي التارقي، فصل الأمثال ، 2026 ،مخطوط مجهول الكاتب ص 1

26 –الآية 30 سورة الأنبياء.

27 – الأدب الشفهي التارقي، فصل الأمثال، 2026 مخطوط مجهول الكاتب ص 1

28 –الآية 154 سورة البقرة

29 – الأدب الشفهي التارقي، فصل الأمثال، 2026، مخطوط مجهول الكاتب ص 1

30 –نفسه ص 1

31 –نفسه ص 1

32 –الآية 38 سورة النجم

33 – الأدب الشفهي التارقي، فصل الأمثال، 2026 مخطوط مجهول الكاتب ، ص4

34 –نفسه، ص 4

35 –نفسه ص 3

36 –نفسه، ص 4

37 –نفسه ، ص 4

38 –الآية 140 سورة آل عمران

المصادر والمراجع:

1–إبراهيم العيد لشي، تاسيلي الحياة الفكرية والاجتماعية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا، منشورات دار الحبر، الجزائر، 2009،

2– الأدب الشفهي التارقي، فصل الأمثال مخطوط مجهول الكاتب

3–برتو باثكث فيكيروا، عيون الطوارق، ترجمة عبدو زغبور، دار ورد، دمشق، سوريا، 2006،

4–البرتو باثكث، طوارق، ترجمة عبدو زغبور، ورد للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2004،

5–بوردوز عبد الناصر، الأمثال الشعبية في منطقة قوراية تيبازة، –دراسة ميدانية، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ،الجزائر، 2009،

6-جان ماري غوستاف لوكليزيو، صحراء، ترجمة لينا بدر، دار ممدوح عدوان، الشارقة، ط1، 2024،
7-ج,هـ، برستد، فجر الضمير، ترجمة سليم حسين، مكتبة دار مصر للطباعة، سلسلة ألف كتاب، العدد 108، 1956،
8-حفناوي بعلي، طبقات الأدب النوميدي الافريقي، – خمسة آلاف عام من الثقافة في الشمال الافريقي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016،
9-ريغاس ، الصروح المأتمية القديمة بإفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام بوشارب، الجزائر، 1996،
10-سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات شؤون الصحراء، ط2، 1989،
11-عبد السلام بوشوارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار رويبة، الجزائر،
12-عمر عبد الفتاح ، اللغة والهوية الثقافية لإفريقيا، مجلة آفاق إفريقية، مجلد 3، ع 11، القاهرة، 2002،
13-فابريتشيو موري، تدرارت تاكوكاس، الفن الصخري وثقافة الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، ليبيا، 1988
14-قايد مولود ، البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي، دار النشر ميموني هشام، الجزائر، 2007،
15-مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب، بيروت، ج1،
16-محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،
17- محمد قمامة، كيل أهقار، قصة سقوط آخر مملكة للبربر، دار هومة، الجزائر، ط2009،
18-محمد اقمامة، المرجع في تاريخ سكان الهقار، دار أدليس بلزمة للنشر والتوزيع، ط1، 2023،
19-مايكل ويلاند، الصحراء، ترجمة مروان سعد الدين، جروس برس ناشرون، طرابلس لبنان، ط1، 2016،
20-هنري لوت ، لوحات التاسيلي، قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1967،